مصر الحديثة ومشروعات الترجمة

د/ إسماعيل زين الدين

مقدمة :

أخمدت جذوة الفكر العربى الإسلامي عندما تغلبت الدولة العثمانية علي العالم العربي ـ مشرقه ومغربه ـ وجمد في حدوده السياسية الضيقة القائمة علي سلطان الخلافة، وجري بعض علماء المسلمين في ركب الولاة والحكام من أجل دعم مراكزهم، وإجبار الشعوب علي الولاء لهم.هنالك وقفت دعوة الإسلام إلي التجديد وأغلق باب الاجتهاد، واختفت مباديء الشورى وحق الأمة في اختيار الحاكم، مما أدي إلي غلبة الحكام المستبدين، وغلب الجمود كل مظاهر الحياة، حينما أغلقت الأبواب أمام الحضارة والتقدم. (١)

وفيما يتعلق بمصر، فقد فقدت استقلالها بعد الغزو العثماني لها عام ١٥١٧، وأصابها الجمود والتخلف طوال هذا العهد، وأجمعت كل المصادر التاريخية والأدبية سواء الوطنية أو الأجنبية علي أن هذا التخلف والانحلال قد بلغ مداه أواخر القرن الثامن عشر، مما دفع أحد الرحالة الفرنسيين (فولني Volney) الذى زار مصر والشام خلال هذه الفترة إلى وصف الحالة الفكرية بقوله " إن الجهل فى هذه البلاد عام

Scanned with CamScanner

وشامل، مثلها فى ذلك مثل سائر البلاد التركية ، يشمل الجهل كل طبقاتها، ويتجلى فى كل جوانبها الثقافية، من علم وفن " (٢)

أما الشيخ عبدالرحمن الجبرتى، المؤرخ المصرى المعروف، فقد صور لنا ما وصلت إليه الحياة العلمية والفكرية فى الأزهر من تخلف وجهل فى منتصف القرن الثامن عشر، بالرغم أن الأزهر كان يعد وقتئذ موطن صفوة العلماء والمفكرين والأدباء والمثقفين فى العالم العربى والإسلامى قاطبة. فقد ذكر الجبرتى – من بين ما ذكر – ما وقع بين أحمد باشا الوالى التركى على مصر (١١٦٢ – ١١٦٣هـ / ١٧٤٩ – ١٧٥٠ م) وبين علماء الأزهر وعلى رأسهم الشيخ عبدالله الشبراوى شيخ الجامع . وكان هذا الوالى فى شوق إلى المجىء إلى مصر لمطالعة علمهم، إذ كان من أرباب الفضائل وله معرفة بالعلوم الرياضية، وقد تم اللقاء بينهم، وباحثهم وناقشهم، فانكشف الغطاء عن تخلف علماء الأزهر عن مسايرة تطور العلوم واقتصارهم على علوم الأزهر المعروفة فى ذلك الحين" .(٣)

أما على باشا مبارك، فقد وصف فى خططه التوفيقية الأوضاع العلمية أفضل وصف حيث قال : " لقد أهمل أمر المدارس وامتدت الأطماع إلى أوقافها، وتصرف فيها النظار على خلاف شروط وقفها، وامتنع الصرف على المدرسين والطلبة لكثرة الاضطرابات الحاصلة بالبلاد حتى انقطع التدريس فيها بالكلية، وبيعت كتبها ونهبت، ثم أخذت تتشعث وتتخرب من عدم الالتفات إلى عمارتها، حتى آل بعض تلك المدارس إلى زاوية صغيرة وبعضها زال بالكلية وصار زريبة أو حوشا أو غير ذلك، ولله عاقبة الأمور " .(٤)

ولقد كان من الطبيعى أن تهتز مكانة الأزهر العلمية خلال تلك الفترة، بعد أن أصبح التعليم محدودا، وتوقف نشاط التأليف، واقتصر العلم فيه على دروس الفقه والتشريع والتفسيرات الجامدة للعقيدة، واكتفى رجاله بالنقل عن القديم، واتبعوا أسلوب الشروح المطولة على الحواشى، حتى أن العصر العثمانى فى الأزهر سمى بعصر

Scanned with CamScanner

الشروح والحواشى. (٥)ولم يعد هناك اهتمام بالعلوم العقلية والرياضية والطبيعية، وانحطت الحياة الأدبية، ولم يكن ثمة اهتمام بتوسيع مجالات الكتابة وتنوعها أو بتطوير أساليب اللغة. (٦)

ويرجع هذا التأخر وذلك الجمود إلى أن العثمانيين لم يكن لديهم رصيد حضارى يمكن إضافته إلى المجتمعات التى وقعت تحت سيطرتهم، ولم يعملوا على تطوير الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية . فعانت مصر – كغيرها – كثيرا من التخلف والضعف، نتيجة لفلسفة العثمانيين فى حكم الدولة حتى نهايات القرن الثامن عشر، فقد قامت تلك الفلسفة على أساس أن تتخفف الدولة بقدر ما تستطيع من أعباء الإدارة المباشرة فتترك الرعية يدبرون شئونهم بأنفسهم .

فإذا احتاجوا مثلا إلى شىء من تعليم، التمسوه عند بعض من يحسنونه، وإذا استبد بهم داء التمسوا له الدواء عند بعض العارفين، وأمور الزراعة يدبرها أهل الفلاحة مع ملتزميهم ، وأمور الصناعة تجرى على ما يرسم أهل الحرف فى طوائفهم، والتعليم فى الأزهر والمساجد يسير وفقا لما اعتاد العلماء والمجاورون من الطلاب، يجرى هذا كله دون أن تتدخل سلطة الإدارة لترسم سياسة معينة لشئون الزراعة أو الصناعة أو التعليم أو الصحة أو غير ذلك. (٧)

وفى أواخر القرن الثامن عشر كانت الحملة الفرنسية على مصر والشام بقيادة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨ م ، وذلك لقطع الطريق على بريطانيا ومنعها من الوصول إلى الهند – درة التاج البريطانى – عن طريق احتلال مصر، بالإضافة إلى أهداف استعمارية أخرى . فكانت الحملة الفرنسة على مصر بمثابة صدمة أصابت المجتمع المصرى، وأظهرت حقيقة تخلفه عن ركب الحضارة الغربية، فكان عليه أن يواجه هذه الصدمة، وتلك المؤثرات الغربية الحديثة بعيدا عن إطار المؤسسات والأبنية التقليدية فى مصر، وهو ما فعله محمد على (١٨٠٥– ١٨٤٩) عندما قُدِّر له حكم مصر وبناء الدولة الحديثة، اعتمادا على قدرات مصر الذاتية .

Scanned with CamScanner

فقد شاهد محمد على من خلال احتكاكه بالفرنسيين فى مصر معالم الحضارة الغربية بوضوح، وتبين أثرها فى تكوين وبناء الدول الحديثة، ومن ثمَّ فقد سعى نحو الاقتباس من الغرب والأخذ بنظمهم الحديثة، فشرع فى سياسة إصلاح واسعة النطاق، مست كل جوانب المجتمع، سياسيا واقتصاديا وعسكريا واجتماعيا . (٨)

ومع استقرار الحكم، تشكلت وتباينت ملامح مشروع بناء الدولة الحديثة فى مصر، على أساس أن تكون لمصر قوة ذاتية تستطيع من خلالها الدفاع عن نفسها سواء فى إطار الدولة العثمانية أو بعيدا عنها . وذلك عن طريق بناء الدولة المصرية الحديثة التى يتم خلالها تحديث التعليم بالأخذ عن الغرب ، وبناء قوة عسكرية قادرة على نمط الجيوش التى رآها تتصارع على مستقبل مصر (إنجلترا وفرنسا) . وفى جوانبه الاقتصادية ، كان مشروع محمد على يقوم على تغيير البنية التحتية للاقتصاد المصرى التقليدى وبناء اقتصاد متنوع فى إطار السوق العالمية مستبعدا عن عمد رأس المال الأجنبى، وكان ذلك يعنى النهوض بالزراعة وإقامة قاعدة صناعية لتحقيق أكبر قدر من الاكتفاء الذاتى .

وكان النهوض الاقتصادى فى مشروع محمد على يمثل قاعدة الاستقلال السياسى المدعم بالقوة العسكرية البرية والبحرية للدفاع عن مصر ومواجهة الأطماع الخارجية، فى وقت كان التفكك والانهيار يهدد كيان الإمبراطوربة العثمانية . (٩)

وكان مشروع بناء الدولة الحديثة فى مصر قد فتح المجال أمام الاحتكاك بالغرب، مما ترتب عليه اشتداد المواجهة بين أفكار وقيم ومؤسسات ونظم الحضارة الغربية وتلك التى يقدمها الفكر الإسلامى وقتئذ . وقد أدت هذه المواجهة إلى بروز ثلاث استجابات : الأولى محافظة، وترفض قبول أية مفاهيم تمتّ للحضارة الغربية بصلة، والثانية علمانية صرفة تهدف إلى نقل كل ما فى الحضارة الغربية وترى فى الدين سببا للتخلف والجمود، والثالثة تجديدية تعود بالفكر الإسلامى إلى أصوله الأولى وتحترم العقل والعلم وتقيم توازنا بين القديم والجديد، أى بين التراث الإسلامى والحضارة الغربية الحديثة . (١٠)

Scanned with CamScanner

ومع أن اهتمام محمد على انصب أساسا على المجالات المادية، أى تغيير البنية التحتية للاقتصاد المصرى، وبناء قوة عسكرية حديثة ـ كما أشرنا من قبل ، إلا أنه لم يكن بمقدوره أن يمنع التأثيرات الأخرى الثقافية والفكرية التى تدفقت بوجه خاص من خلال المبعوثين المصريين الذين أرسلوا إلى أوروبا فى بداية القرن التاسع عشر، والذين تعرفوا بوجه خاص على الثقافة الفرنسية وألموا بالتغيرات الكبيرة التى تمر بها أوروبا فى القرن التاسع عشر، وكان رفاعة الطهطاوى أبرز هؤلاء المبعوثين على الإطلاق .[١١]

وفيما يتعلق بالتعليم، الذى أفرز فيما بعد نوابغ أهل العلم والفكر، وازدهرت فى ظله حركة الترجمة والحياة الثقافية طوال القرن التاسع عشر، فقد أدرك محمد على أن الأمم المتمدنة لم تصل إلى ما وصلت إليه من القوة والتقدم إلا عندما جعلت من التعليم رسالتها، تأخذ كل طائفة من الناس حظها منه لتستفيد من نتائج التمدن وفوائده، ومن ثم فقد قامت الدولة بالتوجيه والإشراف على التعليم لأغراض سياسية، وبهدف إعداد نخبة من المتعلمين إعدادا كاملا متينا لممارسة شئون الحكم والإدارة .[١٢]

ولم يقتصر ذلك على الإعداد الداخلى فحسب، أو بعبارة أوضح وأدق، إعداد طائفة من المصريين أتموا دراستهم بالمدارس المصرية وانتظموا فى سلك التدريس والمؤسسات الحكومية الأخرى، بل اتجهت سياسته إلى إرسال طائفة من هؤلاء لاستكمال دراستهم فى أوروبا ـــ كما أشرنا سابقا ـــ والوقوف على التطورات التى وصل إليها الغرب وقتئذ، حتى إذا عاد هؤلاء الطلاب وجدت مصر كفايتها فى مختلف أجهزة الدولة، ويكونوا بمثابة قاعدة بشرية وطنية من المتعلمين والمتأثرين بالحضارة والثقافة الغربية الحديثة، ثقافة وحضارة عصر النهضة والثورة الصناعية .

ولم يكتف محمد على فى سبيل نشر التعليم بإنشاء المدارس وإيفاد البعثات إلى أوروبا للتزود بثقافة الغرب، بل وجه عنايته إلى ترجمة الكتب والمراجع الأجنبية، لنقل ذلك التراث من الثقافة والعلوم الغربية إلى اللغة العربية .[١٣] إذ كان محمد على يرى

Scanned with CamScanner

أن نظم الغرب ومعارفه وعلومه قد كتبها أصحابها، وأنها إذا نقلت إلى العربية أو التركية استطاعت الحكومة مسترشدة بما فيها أن تسير طبقا لها، وبدأ ذلك بالإستعانة بعدد من المترجمين الشرقيين (الشوام) والأجانب . وكان ذلك إلى حين، لأن اختيار الكتب التى تنقل ثم المترجمين الذين يقومون على نقلها قد لا يخلو من زلل، والترجمة حقا من الوسائل التى تنقل بها آراء أمة ونظمها وعلومها إلى أمة أخرى، ولكنها ليست الوسيلة الوحيدة، وخير منها إعداد الرجال الذين يدرسون هذه الآراء والنظم والعلوم فى بلادها . الإضافة إلى دراسة لغة البلاد التى يتلقون فيها دراساتهم، حتى إذا عادوا إلى مصر، أمكنهم ترجمة الكتب الغربية، إضافة إلى الأعمال المسندة إليهم فى مؤسسات الدولة . (١٤)

الحاجة إلى الخبرات الأجنبية :

لم يكن من الممكن إتمام ذلك المشروع التعليمى المتكامل دون الحاجة – إلى حين – إلى الخبرات الأجنبية، لذا، فقد اتجه محمد على إلى الاستعانة بالأجانب واستقدامهم للقيام بالتدريس فى المدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى، وخاصة الذين حالت حوادث السياسة أو ظروف بلادهم الداخلية، أو أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية إلى الهجرة إلى بلاد الشرق طلبا للعيش ، ومحاولة كشف قدراتهم وإمكاناتهم العلمية فى تلك المواقع الجديدة . وكان من النتائج الهامة لإلغاء القوانين التمييزية التى كان يخضع لها بعض الرعايا الأجانب، وحرية ممارسة الشعائرالدينية المسيحية جهارًا ، وإنشاء المدارس والكنائس، بالإضافة إلى إشاعة الأمن فى شتى أنحاء البلاد، عن طريق أجهزة الشرطة والأمن المنفذة لأوامر الدولة، إلى جانب مساواة المواطنين والأجانب أمام القانون، كل ذلك أدى إلى سعى الأجانب سعيا حثيثا إلى المجىء للبلاد . (١٥)

وكانت بداية اتجاه محمد على نحو الاستعانة بالخبرات الأجنبية فى مجال العلم والمعرفة عام ١٨٢٤، عندما كلف أحد أصدقائه من الفرنسيين وكان يعمل وكيلا

Scanned with CamScanner

لقنصل فرنسا فى مصر آنذاك، ويدعى تورنو Tourneau لمساعدته فى التعاقد مع مجموعة من الأطباء وخبراء للتعليم، لنشر العلوم والفنون المختلفة، ومعالجة قواته العسكرية بمختلف أسلحتها، والتى كان يتوسع فى إعدادها وتكوينها، وكانت بحاجة ماسة إلى الخدمات الطبية العسكرية . وقد تمكن تورنو خلال فترة وجيزة من التعاقد مع ستين فرنسيا فى التخصصات المطلوبة . [١٦] وكان المسيو تورنو قد تقابل فى مرسيليا مع صديق له يدعى الدكتور "كوفيير" كان يعمل طبيبا فى مستشفى الصدقة بالمدينة، فأوصى باختيار تلميذه السابق الدكتور "أنطوان بارتلمى كلوت "Antoin Barthelmyclot رئيسا لأطباء الجيش وكبيرا لجراحيه، وقد وافق تورنو على مقترحات كلوت ــ لمصلحة العمل ــ وهى أن يجمع بين رياسة أطباء الجيش ورياسة جراحيه، واشترط عدم الانتقال مع الجيش فى تحركاته، مع تمتعه بالحرية التامة فى كافة المجالات العلمية والفنية . وتم التعاقد معه فى ١٨٢٤/١٢/٢٢ لمدة خمس سنوات براتب سنوى قدره ٨٠٠٠ فرنك، مضافا إليها" بدل تعيين" يوازى ما هو مخصص لرتبة كولونيل .[١٧] وغادر مرسيليا فى طريقه إلى مصر فى ١٨٢٥/١/٢١ . [١٨]

وعندما وصل الدكتور كلوت إلى مصر استطاع أن يجذب انتباه محمد على وثقته ومن حوله من الأمراء، بفضل شجاعته وإخلاصه فى العمل، ونشاطه الذى لا يعــرف الكلل، بالإضافة إلى معلوماته الطبية الجيدة . [١٩]

هذا إلى جانب إدارته الناجحة وآرائه الثاقبة حــول تطــوير وتنظــيم مــصلحة الصحة، بسنّ عدة قوانين ولوائح لتحديد واجبات المــسؤلين، وتعيــين مــدى حــدود عملهم.[٢٠] مما أدى إلى الموافقة على تعيينه ــ فيما بعد ــ مفتــشا لعمــوم الــصحة بوزارة الحربية، وعضوا بمجلس شورى الأطباء ، ومديرا لمدرسة الطب البشرى التى أنشئت وفقا لأفكاره ، هذا إلى جانب إشرافه على المستشفى الطبى ومتعلقاتــه . [٢١]. وكما هو واضح فقد جمع الدكتور كلوت، الذى نال رتبه البكوية بين المناصب العلمية والإدارية والفنية ، مما يؤكد مدى تمتعه بثقة المسؤلين وقد ظل فى عمله هذا طــوال

Scanned with CamScanner

عصر محمد على، ثم تقاعد بعد ذلك وانسحب من الحياة العامة بعد أن قـدَّم لمـصر الكثير، وأسس بها أول مدرسة للطب البشرى الحديث فى العالم العربى، فعكف علـى كتابة مذكراته فى بلده مرسيليا . [٢٢]

شعر كلوت بك بحاجة البلاد إلى أطباء وأخصائيين للعمل فى القـرى والأقـاليم والمدن، بالإضافة إلى معالجة أفراد الجيش المصرى الذى كان عدده يتزايـد بـصفة مستمرة . ولم يكن من الممكن الحصول على الأعداد اللازمة من الأطباء الأجانب فى كافة التخصصات العلمية المطلوبة، لذا اختمرت فى ذهنه فكرة إنشاء مدرسـة للطـب البشرى فى منطقة أبى زعبل (الخانكة)، لتفى باحتياجات البلاد من الأطباء الوطنيين، وكان يقوم بالتدريس فيها أطباء أجانب، اختص كل واحد منهم بتدريس إحدى المـواد المقررة، على أن يقوموا بإلقاء المحاضرات باللغة الفرنسية، ثم تترجم إلى لغة الطلاب بواسطة مترجمين لديهم إلمام تام باللغتين، لغة المحاضرة ولغة الطلاب، فكانـت أول مدرسة للطب الحديث ـــ كما ذكرنا ــ فى العالم العربى، وكانت تمثل بداية الطريـق نحو مشروع الترجمة والحركة الثقافية فى مصر الحديثة . [٢٣] وكان الدكتور كلوت بك قد واجهته خلال الفترة الأولى من إنشاء المدرسة الطبية صعوبات جمة، لعل أهمها ، وهو موضوعنا الرئيسى، تنحصر فى تقرير اللغة التى يدرس بها علم الطـب، فقـد كان من الصعوبة بمكان مواجهة طلاب لا يعرفون سوى العربية مع أسـاتذة أجانـب يجهلونها ومحاولة إجبار الطلاب على تعلم الفرنسية، أو إجبار الأسـاتذة علـى تعلـم العربية ، وهو مضيعة كبرى للوقت ــ على حد قوله ـــ غير أنه أمكن حـل هـذه المشكلة عن طريق الاستعانة بمترجمين ـــ أغلبهم من السوريين يجيدون اللغتـين : لغة الطلاب ، ولغة العلوم الطبية حتى يتيسر لهم إفهامها إلى أقرانهم.[٢٤]

وقد أضاف كلوت بك إلى ذلك قوله "إنه من السخف حقا، أن نعلِّم الطـب بلغـة أوروبية. إن إدخال التعليم الطبى العلمى عن طريق لغة الـبلاد هـو الطريقـة التـى تفرضها التجربة والعقل وهذا هو الطريق الذى اتبعته كل الأمم التى دخلت الحـضارة

Scanned with CamScanner

تدريجيا" . ونرى ذلك واضحا فى وقتنا هذا من خلال تلك الدعوات القائلة بتعريب العلوم الطبية فى بعض الجامعات العربية .

وقد نجح كلوت بك فى العثور على بعض الشرقيين الذين يجيدون الفرنسية والعربية، حيث جمع من بينهم ثمانية وألحقهم بالمدرسة كمترجمين على أن يُعَدُّوا لدراسة الطب بشكل نظامى . وبدأ كل مترجم يقوم بدراسة مادة من العلوم وترجمة درس كل أستاذ بعد أن يكون قد تفهمه جيدا بالفرنسية. وكان من بين هؤلاء المترجمين يوحنا حنحورى، وهو سورى الأصل.[٢٥]

أما عن الطرق التى اتبعت لنظم التدريس بالمدرسة فكانت على النحو التالى :

أولا : كان الدرس ينقل إلى العربية فى بادىء الأمر تحت إشراف الأستاذ الذى يلقى على المترجمين ما هو مقرر عليه إلقاؤه من المعلومات والشروح الضرورية . وحتى يتسنى له التأكد من فهم الطلاب للدرس، وما تضمنه من حقائق علمية كان يشير على المترجم بإعادة إلقاء الدرس مرة أخرى أمامه قبل أن يلقيه على الطلاب .

ثانيا : كان الدرس الذى يترجم يملى على الطلبة فيكتبونه بخطوطهم فى الكراسات .

ثالثا : يقوم الأستاذ بشرح هذا الدرس شرحا وافيا . وكان مباحا لرؤساء الأقسام من الطلاب توجيه الأسئلة فيما استعصى عليهم فهمه . وكانوا يكلفون بإعادة الدروس على طلبة القسم الذى تحت إدارتهم .

رابعا : كان الطلاب يمتحنون آخر كل شهر فيما تلقوه من الدروس خلاله .

وكان منصب رياسة القسم موضوع مباراة ومسابقة لمن يطمح إلى احتلاله من الطلاب.[٢٦]

ولضمان تطبيق النظريات الدراسية على الحالات المرضية عهد إلى أساتذة الباثولوجيا والعيادة الخارجية إدارة أقسام المستشفى التى تتصل بدراستهم . أما اللغة الفرنسية فقد عهد إلى المسيو "أوسلى Ucelli" بتدريسها للطلاب ثم خلفه المسيو "برونشيه Bronchier" .[٢٧]

Scanned with CamScanner

البعثات الخارجية وحركة الترجمة :

بدأ محمد على بإيفاد البعوث لإعداد المعلمين والصناع والأطباء ورجال الإدارة والضباط، ثم تنوعت دراسات الأعضاء بين العلوم والرياضة والهندسة والزراعة . وقد تراوح عدد أعضاء هذه البعوث جميعا بين ٢٩٠، ٣٥٠ عضوا . ووفقا لما ذكره أمين سامى فى كتابه (تقويم النيل ـــ عصر محمد على)، أن كل عضو كان يتكلف قدرا من المال يختلف باختلاف مدة بعثته .

وقد بلغ مجموع ما أنفقته الدولة على هذه البعوث، منذ البعثة الأولى إلى فرنسا عام ١٨٢٦ والتى كان من بين أعضائها رفاعة رافع الطهطاوى ، ومظهر باشا مهندس القناطر الخيرية، ومحمد بيومى أستاذ الرياضيات، نقول: بلغت نفقات هذه البعثات منذ عام ١٨٢٦ وحتى عام ١٨٤٨ مبلغ ٢٧٣,٣٦٠ جنيها ، وهو مبلغ كبير بمقياس ذلك العصر . أما قبل عام ١٨٢٦ فقد زادت نفقاتها على ثلاثين ألفا من الجنيهات . (٢٨)

ولم يكتف محمد على فى سبيل نشر التعليم بإنشاء المدارس المختلفة وإيفاد البعوث إلى أوروبا، بل عنى كذلك ـــ كما أشرنا من قبل ـــ بالترجمة أكبر عناية . وقد ظهرت الحاجة الملحة إليها منذ البداية، حتى تُنقل علوم الغرب وفنونه إلى لغات يفهمها تلاميذ المدارس المصرية، أى إلى العربية والتركية بنوع خاص . لذلك شرع محمد على فى جمع الكتب من مختلف البلدان، وأخذ يوزع منها ما يصلح للتدريس فى مدارسه على المترجمين لترجمته، حتى يكون بأيدى الطلاب والأساتذة على السواء طائفة من الكتب التى لم يكن لهم غنى عنها . وقد نبه على طلاب البعثات بضرورة الاهتمام بترجمة الكتب التى يقومون بتحصيلها إلى اللغة العربية وإرسالها أولا بأول، حتى يكون الطلاب على دراية ومعرفة بالعلوم الطبية الحديثة . (٢٩)

وكان محمد على يرى أن أول واجب على المبعوثين ترجمة العلوم التى درسوها فى أوروبا، لأن نقل هذه العلوم إلى العربية أو التركية يمكن الحكومة من

Scanned with CamScanner

متابعة إصلاحاتها إلى جانب نقل أحدث ما صدر فى الغرب من إنتاج فكرى فى العلوم والفنون والآداب ، باعتبار أن الغرب أضحى مركزا لحضارة عصر النهضة والثورة الصناعية ــــ كما أشرنا سابقا ــــ لذلك كان أول عمل أسند إليهم إمدادهم بالكتب والتنبيه عليهم بسرعة ترجمتها .

وقد بلغ من حرص الحكومة على أن يكون لديها أكبر قدر من الكتب المترجمة فى أقصر وقت أنها كانت تقدِّم لهم الكتب وهم ما يزالون مقيمين فى المحجر الصحى، ثم كانت تحتجزهم فى مكان خاص ولا تدعهم يخرجون إلى أهلهم حتى يتموا ترجمة ما عندهم من الكتب . وكثير منهم كانت الترجمة تشغله عن واجبات وظيفته التى يتقلدها . (٣٠)

وقد توخى محمد على والمسئولون فى اختيار هذه الكتب، أن تكون لمؤلفين معروفين من المدرسين الأجانب الذين يقومون بالتدريس فى مصر، أو من كبار المؤلفين الأوروبيين الذين شاعت شهرتهم فى بلادهم فيما يعالجون من موضوعات الطب والتاريخ والجغرافيا والهندسة والسياسة والمنطق وغيرها . (٣١)

وقد استمر اهتمام محمد على بجلب الكتب إلى مصر حتى أواخر أيامه، ويؤكد ذلك أمره إلى أرتين بك ــ سكرتيره الخاص ــ فى ٢٥ ديسمبر ١٨٤٥، يطلب منه تكليف رئيس البعثة المصرية بفرنسا بشراء "جملة كتب فى علم الهندسة" ، كان المهندس محمد بهجت بك قد "أوضح بإفادة إلى الجناب العالى" أنها ظهرت بعد عودته من أوروبا . وفى ٢٠ يونية ١٨٤٦، أصدر أمرا آخر إلى أرتين بك بأن "يستحضر من فرنسا ما يلزم من كتب ومعدات وآلات لدراسة الكيمياء والنبات وغيرها مادامت هذه الكتب والمعدات والآلات غير موجودة بمخازن الحكومة" . (٣٢)

ولم يكن الغرض من جلب هذه الكتب الكثيرة حبسها بمكتبات المدارس الخصوصية (العالية)، وإنما كان بهدف ترجمتها والانتفاع بها، لأنه لم تكن ثمة مندوحة عن معرفة ما فى بطون هذه الكتب العصرية من أصول العلوم والفنون الأوروبية،

Scanned with CamScanner

التى يؤدى تدريسها إلى نقل الثقافة الغربية إلى البلاد، وبخاصــــة أن المدرســـين فـى المدارس المصرية كانوا فى أول الأمر من الأجانب .

ولما كان هؤلاء الأجانب لا يعرفون لغة البلاد التي يعرفها الطلاب، فلم يكن ثمة مناص من استخدام طائفة من المترجمين يعاونونهم في نقل ما يلقونه علي الطلاب إلي اللغة التي يعرفونها، بيد أنه سرعان ما اتضح أن هؤلاء الناقلين أو المعيدين كـانوا لا يستطيعون تأدية معاني المصطلحات العلمية أداءً صحيحاً دقيقاً، تلك الحقيقة التي أكدها كلوت بك، عندما أشار إلي عدم استطاعته العثور علي مترجمين يستطيعون ترجمـة المصطلحات العلمية بالدقة المطلوبة.(٣٣) هذا بالإضافة إلي عدم مقدرتهم توضيح مـا يستعصى علي الطلبة فهمه من بعض المسائل العلمية التي يقومون بترجمتهــا، فكــان لابد من تلافي هذا النقص في أسرع وقت، ولم تكن هناك وسيلة ناجحة سوي ترجمـة الكتب التي لا غني عن وجودها بأيدي الطلاب وإعداد القواميس والمعاجم للاســتعانة بها عند القيام بهذا العمل.

علي أية حال، فقد عالج محمد علي مسألة نقل الكتب إلــي اللغتــين العربيــة والتركية بالعديد من الوسائل، فبدأ بالاعتماد علي السوريين المقيمين في الـبلاد، كمـا فعل الدكتور كلوت بك في مدرسة الطب، حتى يعود أعضاء البعثات من الخـارج، أو تستطيع مدارسه أن تخرج العدد الكافي من المتعلمين الذين يمكن الاعتماد عليهم فـي النقل من اللغات الأجنبية. وكان عددمن أعضاء البعوث وخريجي هذه المدارس يقـوم بالترجمة إلي جانب ما يعهد به إليه من أعمال آخري، سواء كانوا ممن ولــوا شـئون الحكم، أو اضطلعوا بمهمة التدريس، أم زاولوا مهنة مــن المهــن الأخــرى كالطـب والهندسة، كما كان في كل مدرسة خصوصية جماعة من مدرسيها ينقلون الكتب إلـي اللغة العربية أو التركية.(٣٤)

Scanned with CamScanner

مدرسة الألسن وازدهار حركة الترجمة:

استمر هذا الوضع حتى عام ١٨٣٥، عندما تقرر إنشاء مدرسة الألسن، وكانت تسمي وقتئذ "**مدرسة الترجمة**" ثم تغير اسمها فصارت تعرف "**بمدرسة الألسن**" وكانت توجد بحي الأزبكية. وقد أنشئت بهدف تخريج مترجمين لمصالح الحكومة المختلفة، وألحق بها قلم للترجمة، يقوم علي ترجمة الكتب اللازمة لمدارس الحكومة ومصالحها[٣٥].

وعندما وضعت قوانين التعليم ولوائحه في عام ١٨٣٦، ١٨٣٧ أصبح الغرض منها تخريج مترجمين وإمداد المدارس الخصوصية (العالية) الأخرى بتلاميذ يعرفون اللغة الفرنسية، حتى إذا تخرجوا من هذه المدارس كانوا علي معرفة بالعلم الذي يترجمون فيه واللغة التي يترجمون منها.[٣٦] وكان مديرها "رفاعة رافع الطهطاوي" عضو بعثة سنة ١٨٢٦ إلي باريس، وهناك اتسعت دائرة قراءات الطهطاوي في الفلسفة اليونانية والميثولوجيا – علم الأساطير– والتاريخ القديم، والجغرافيا والمنطق والرياضيات مع تركيز خاص علي دراسة الفكر الفرنسي في القرن الثامن عشر لدي كل من فولتيروديدرو ومونتسكيو. وقد ساعده على ذلك تمكنه من اللغة الفرنسية، والتغلب علي مشكلات الترجمة من الفرنسية إلي العربية.[٣٧]

وعندما عاد الطهطاوي إلي مصر عام ١٨٣١ عين مترجماً ومدرساً للغة الفرنسية في مدرسة الطب ، ثم نقل بعد ذلك بعامين إلي نفس وظيفته بمدرسة المدفعية، وعلي مدي أربعة أعوام ترجم الطهطاوي بعض الكتب الفرنسية في الهندسة والجيولوجيا وعلم الفلزات والجغرافيا بالإضافة إلي مراجعته لترجمة كتابين في الطب، سنعود إليهما بشيء من التفصيل. ولما أنشئ قلم الترجمة في أوائل عام ١٨٤١ التحق كل خريجي مدرسة الألسن به، وكانوا لا يمنحون الرتبة المقررة لهم حتى يترجم كل منهم كتاباً يحوز الرضا السامي". [٣٨] كما تم إلحاق القلم بمدرسة الألسن تحت إدارة مديرها رفاعة الطهطاوي، بعد أن رأت لجنة تنظيم المدارس في ذلك العام (١٨٤١)

Scanned with CamScanner

"بأن تكون الترجمة مضبوطة مستوفية حقها من الصحة سليمة من الخطأ، ولكن ترجمة كتب العلوم والفنون ليست مقصورة علي معرفة اللغة فحسب بل متوقفة أيضاً علي الإلمام بالعلم أو الفن المترجم كتابه، فقد أنشأت اللجنة غرفة الترجمة الخاصة بالمترجمين".(٣٩)

وكانت مدرسة الألسن تمثل أول مؤسسة تعليمية حديثة متخصصة في إعداد المترجمين وتأهيلهم لنقل معارف الغرب الحديثة إلي العربية ، وكانت تمثل أيضا ملتقي ثقافتين: ثقافة الغرب بتفكيرها الجديد علي الشرقيين، ونظرتها الجديدة إلي الحياة وتلك الآفاق الجديدة التي أظهرتهم عليها، وثقافة الشرق العربية أو قل ثقافة الأزهر القائمة علي الجدل والنقاش والتخريج. ولهذا كانت مدرسة الألسن، كما كان رفاعة الطهطاوي نفسه مزاجاً من هاتين الثقافتين، بعد أن رأي في باريس عالماً جديداً، ولكنه لم ينس عالمه الذي نشأ فيه وتربي في حجره. وهنا تظهر قيمة الطهطاوي وأهميته كإمام من أئمة النهضة العلمية في مصر. فقد مزج بين هاتين الثقافتين مزجاً بديعاً وأخذ بالجميل والمفيد منها. وأصبح بذلك علماً علي نضوج الفكر ونفاذ البصيرة وقوة التجديد في إيمان ورفق.(٤٠) وكان الطهطاوي يبغي أن ينشِئ تلاميذه كما نشأ هو، حتى إذا أصابوا من الثقافتين حظاً انطلقوا بدورهم ينقلون إلي بني وطنهم ثمرات التفكير الغربي، ممثلة في تلك الكتب التي قاموا علي تعريبها في كل فن وعلم في مهارة وصدق، يشرف عليهم أستاذهم ومربيهم ومثلهم الأعلي "رفاعة رافع الطهطاوي"، فكانوا كما وصفهم علي باشا مبارك بحق "أطروفة مصرهم وتحفة عصرهم".(٤١)

وكانت اللجنة التي شُكِّلت لتنظيم المدارس في عام ١٨٤١ قد قسمت غرفة الترجمة التي ألحقت بمدرسة الألسن إلي أربعة أقلام: أولها : لترجمة كتب الرياضة، وثانيها: لترجمة كتب العلوم الطبية والطبيعية، وثالثها: لترجمة كتب المواد الأدبية كالتاريخ والجغرافية والمنطق والفلسفة والقوانين والقصص والأدب، ورابعها : لترجمة الكتب التركية. وأُلحق بكل هذه الأقسام عدد من الناسخين، حتى إذا تم إعداد

Scanned with CamScanner

الكتب المترجمة ، أرسلت إلي ديوان المدارس، ليشير بطبع النافع منها بعد الاطلاع عليها.(٤٢)

ولتنشيط حركة الترجمة، اتبعت الإدارة أسلوب المكافأة والعقاب، فكانت توصى بعقاب المهمل ومكافأة المجيد .

وكان ديوان المدارس، وهو بمثابة وزارة للتعليم فى وقتنا هذا، يطلب من نظار المدارس الخصوصية فى كل عام بيانا بالمؤلفات التى جدت فى المواد التى تدرس بمدارسهم، حتى إذا وجدها هى أو غيرها مما "يرى رفاعة بك ترجمته بالكتبخانة الفرنسية الملحقة بمدرسة الألسن، وزعها على المترجمين، أو بعث يطلبها من أوروبا".(٤٣)

ولم يقم مشروع الترجمة على أكتاف المبعوثين وخريجى الألسن وغيرها من مدارس محمد على العليا فحسب، بل شارك فيه كذلك بعض موظفى الدولة والشوام ممن يجيدون اللغات الأجنبية . وهكذا برز فى مصر أثناء حكم محمد على مترجمون من السوريين، وأعضاء البعثات وخريجى مدرسة الألسن، ومن الموظفين الذين التحقوا بمؤسسات الدولة . وكان من بين المترجمين السوريين يوحنا عنحورى . وقد ترجم عدة كتب فى الطب منها كتاب "القول الصريح فى علم التشريح" من تأليف "بايل Bayle " وهو فى جزئين وبه إضافات لكلوت بك، و"منتهى الأغراض فى علم شفاء الأمراض تأليف بروسيبه وسانسون . (٤٤)

كما ترجم رسالة فى علم الجراحة البشرية بعنوان "البراح فى علم الجراح" تأليف كلوت بك، و" الأزهار البديعة فى علم الطبيعة" تأليف الدكتور "برون Peron " ، و"الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية" للمؤلف نفسه . (٤٥) كما ترجم كتابا فى علم النبات .

Scanned with CamScanner

وكان من بين خريجى مدرسة الألسن، الذين أثروا المكتبة العربية ببعض المؤلفات والتراجم، السيد صالح مجدى بك، الذى تلقى علومه بمدرسة حلوان الأميرية التى أنشأها محمد على، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدرسة الألسن، عندما كان ناظرها رفاعة الطهطاوى . وبعد أن تخرج منها، وأجاد اللغتين العربية والفرنسية، عين بقلم الترجمة، حيث تخصص فى تعريب كتب الرياضيات بمدرسة الألسن، بعد ذلك انتقل إلى تدريس اللغتين العربية والفرنسية بالإضافة إلى الترجمة . وفى عصر إسماعيل اشترك مع رفاعة الطهطاوى فى ترجمة قانون نابليون code Napoléon ، كما تولى تعريب قانون الجنايات . (٤٦)

كذلك كان هناك عبدالله أبو السعود أفندى، الذى انتقل إلى مدرسة الألسن، إلى جانب دراسته بالأزهر، وأتقن اللغات العربية والفرنسية والإيطالية، كما نبغ فى فنون الأدب والشعر . وقد التحق بخدمة الحكومة وتدرج فى مناصبها حتى أصبح فى عهد إسماعيل ناظرا لقلم الترجمة وأستاذا للتاريخ العام بمدرسة دار العلوم، ثم عين عام ١٨٧٦ قاضيا بمحكمة الاستئناف، إلى أن توفى فى فبراير ١٨٧٨ . وكان له بعض المؤلفات والتراجم، منها كتاب "منحة أهل العصر بمنتقى تاريخ مصر"، و"الدرس العام فى التاريخ العام" . كما عرب كتاب "تاريخ مصر القديمة" لمرييت باشا" ، وشارك الطهطاوى فى ترجمة قانون نابليون السابق الإشارة إليه، واشترك مع حسن أفندى فهمى فى تعريب قانون المرافعات . (٤٧)

أما أعضاء البعثات، فقد اعتمد عليهم محمد على فى تعريب كتب العلوم التى يدرسونها حتى وهم ما يزالون فى دور التحصيل، وكانوا بعد عودتهم لا يلحقون بالوظائف الحكومية عادة إلا إذا ترجم كل منهم كتابا فى الموضوع الذى درسه، بل كانوا يكلفون بترجمة الكتب حتى بعد التوظف . وكان لكتب الطب والرياضة والفنون العسكرية أكبر قسط من العناية والاهتمام .(٤٨)

Scanned with CamScanner

ويأتى على قمة هؤلاء رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ــ١٨٧٣) والذى مثَّلت أفكاره نقطة تحول أساسية فى تاريخ الفكر السياسى المصرى الحديث . وكان الطهطاوى من جيل المثقفين المصريين اللذين أحسوا بأن الثقافة الأزهرية وحدها لم تعد تتلاءم مع ظروف عصرهم وأحسوا بضرورة دعوة مواطنيهم إلى الاستفادة من علوم الغرب . وكان موقف الطهطاوى بالنسبة للحضارة الغربية بصفة عامة، هو الاحساس بمظاهر التفوق فى نظمها السياسية وبعض تقاليدها وعاداتها . [٤٩]

ولم ينظر رفاعة الطهطاوى إلى هذه العلوم الفكرية على أنها غريبة تجب الاسترابة منها، وإنما عكف وزملاؤه على "اكتساب العلوم التى فارقت مهدها بتقلب الأيام وتداول الشهور والأعوام، ثم قيض الله لها من اهتم بإحيائها بعد الاندراس ــ يقصد محمد على ــ واحتفل بردها إلى مصر ووضعها فيها على أمتن أساس" [٥٠]

وبعد أن أمضى رفاعة الطهطاوى فى باريس خمس سنوات (١٨٢٦ _ ١٨٣١) عامرة بالإطلاع والتفكير والتحصيل بين الأساتذة والمستشرقين وأهل العاصمة الفرنسية وأئمة الحضارة الحديثة عاد إلى وطنه زاخر النفس بمعان جديدة . فبعد أن عين مترجما ومدرسا للغة الفرنسية بمدرسة الطب، نقل بعد ذلك بعامين إلى نفس وظيفته بمدرسة المدفعية . وكان الطهطاوى من كبار المترجمين فى هذا العصر، حيث ترجم عدة كتب كما راجع طائفة أخرى نقلها الطلبة والخريجون فى مدرسة الألسن وقلم الترجمة، كما قام بتصحيح بعض الكتب الطبية بعد ترجمتها. ومن الكتب التى ترجمها الطهطاوى كتاب "المعادن النافعة" تأليف "فيرارد Ferard "، نقله من الفرنسية إلى العربية عملا بمشورة المسيو جومار Jomard ، ذلك المهندس الفرنسى الذى حضر مع نابليون فى حملته على مصر وكان ضمن علماء الحملة، ثم عهد إليه محمد على بالإشراف على بعثاته التعليمية بفرنسا . كذلك ترجم رفاعة كتاب "مبادىء الهندسة" . وقد وضع فى أوله معجما "ببيان بعض كلمات هندسية وتفسير ألفاظ اصطلاحية"، و"قلائد المفاخر فى غريب فوائد الأوائل والأواخر" . وقد وضع

Scanned with CamScanner

الطهطاوى فى أوله كذلك قاموسا صغيرا يشرح ما ورد فيه من ألفاظ غريبة . كما ترجم كتاب "التعريفات الشافية لمريد الجغرافيا"، وقد ذيله أيضا بجدول "الألفاظ الاصطلاحية المستعملة فى الجغرافية بأنواعها ، مرتبا على حروف المعجم "و "الجغرافية العمومية" تأليف ملطبرون Malte-Brun . هذا بالإضافة إلى القيام بمراجعة وتصحيح أعداد أخرى من الكتب التى تم ترجمتها . (٥٠)

وعندما اُفتتحت مدرسة الألسن فى عام ١٨٣٥، أنشأ الطهطاوى قسما بها لدراسة الفقه الإسلامى والقوانين الأجنبية، وكان القضاة يتخرجون من هذا القسم، فأحدث بذلك تطورا هاما فى عملية تنظيم القضاء وإصلاحه وتطويره . (٥١) وفى عصر إسماعيل قام الطهطاوى وبعض تلاميذه بترجمة القوانين الفرنسية، لأن الحكومة عندما فكرت فى إصلاح التعليم القضائى فى عهد إسماعيل استعانت فى ذلك بالقانون الفرنسى المعروف بقانون نابليون Code Napoléon، فقام رفاعة وتلاميذه بما لهم من إلمام بأسرار اللغتين العربية والفرنسية بترجمة هذا القانون بفرعيه "المدنى والجنائى" ، وهى القوانين التى بنى علي أساسها نظامنا القضائى الحديث . (٥٢) وبذلك وضع الطهطاوى ثروة الفكر الغربى الأوروبى فى التشريع والتقنين إلى جانب تراث الحضارة الإسلامية فى هذا الميدان .

وإلى جانب جهود الطهطاوى الرائدة فى مجال الترجمة والتصحيح، كانت مؤلفاته المهمة التى أحدثت ثورة فى الفكر السياسى والاجتماعى العربى، والتى استهلها بكتابه الشهير "تخليص الإبريز فى تلخيص باريز" الذى نشر عام ١٨٣٤، وقدم فيه وصفا للمجتمع الفرنسى كما شاهده أثناء إقامته هناك . وقد قرئ هذا الكتاب على نطاق واسع فى البلاد العربية والإسلامية، حيث أعيد نشره فى أعوام ١٨٤٨، ١٩٠٥، ١٩٥٨، ١٩٧٤، وطبعت ترجمته التركية عام ١٨٣٩ تحت عنوان "سفرنامه رفاعه بك" . (٥٣)

Scanned with CamScanner

أما مؤلفه الثانى، فكان بعنوان "مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية"، تناول فيه العديد من الموضوعات المتعلقة بطبيعة وأسس النظم السياسية فى أوروبا، من حيث نظام الحكم، وشكل السلطة القائمة، وطبيعة العلاقة بين الحاكم والرعية، وحقوق وواجبات كل منهما، ونظرية الفصل بين السلطات فى الدولة والتمييز بينهما، ومبدأ المساواة والحرية بمفهومها المتسع، من حيث حرية الرأى والعقيدة، وكذا فكرة الحكم الذاتى ممثلا فى إدارة البلديات وهو ما يعرف بالإدارة المحلية فى وقتنا هذا، والتى كانت بعيدة تماما عن إطار الفكر العربى الإسلامى . وقد حرص الطهطاوى على ترجمة الدستور الفرنسى، لكى يتمكن قراء العربية من معرفة طبيعة الحكم ونظم الإدارة فى المجتمعات الغربية، وقام بالتعليق على بعض مواده الرئيسية، مبديا بعض الملاحظات، ومذكرا القارىء العربى بما كان قائما وفقا لنظام الشورى فى الشريعة الإسلامية.(٥٤)

ولم يكن الطهطاوى إلا واحدا من أعضاء البعثات الذين اشتغلوا بترجمة الكتب والمراجع الطبية والهندسية . ففى مجال الطب كان فرسان الترجمة : على هيبة وإبراهيم النبراوى ، وأحمد حسن الرشيدى وحسن غانم الرشيدى، وعيسوى النحراوى ، ومحمد الشباسى ، ومحمد الشافعى، ومحمد عبدالفتاح، وكثير غيرهم . وقد عين هؤلاء مدرسون بمدرسة الطب، بعد أن عادوا من الخارج وقد ترجموا عددا كبيرا من الكتب . فالأول، وهو على هيبة أفندى قام بترجمة كتاب "فسيولوجيا وإسعاف المرضى فى علم منافع الأعضاء" تأليف الخواجة "سوسون" معلم الفسيولوجيا بمدرسة الطب، و"طالع السعادة والإقبال فى علم الولادة وأمراض النساء والأطفال". أما الدكتور إبراهيم النبراوى فقد ترجم مؤلفات كلوت بك "نبذةفى الفلسفة الطبية"، و"نبذة فى التشريح العام"، و"نبذة فى التشريح المرضى"، وهى فى مجلد واحد، ثم كتاب "الأربطة الجراحية".(٥٥)

Scanned with CamScanner

وكان النبراوى أحد أعضاء البعثة الطبية اللذين اختارهم كلوت بك لإتمام علومهم بفرنسا عام ١٨٣٢، وبعد عودته إلى مصر عين أستاذا بمدرسة الطب وكانت قد انتقلت إلى قصر العيني. وقد بدأت شهرته فى الذيوع والانتشار لكفاءته في إجراء العمليات الجراحية بعد أن ألّف فيها مرجعا طبيا هاما بعنوان"الأربطة الجراحية" طبع بمطبعة بولاق عام ١٨٣٧، فاختاره محمد علي طبيباً خاصاً له ، وقرّبه إليه وأغدق عليه من المنح والإنعامات، واصطحبه في رحلته إلي أوربا عام ١٨٤٨. وعندما تولى عباس باشا الحكم اختاره أيضا طبيبا خاصا له . وقد وصفه على مبارك بأنه "أنجب من اشتهر فى الجراحة، ذو إقدام على ما لم يقدم عليه غيره، فمن ذلك أنه كان يشق على إدرة الرجل ويعمل فيها العمليات المنتجة للصحة، ولم يسبقه فى ذلك غيره" . وتوفى عام ١٨٦٢. أما الدكتور أحمد حسن الرشيدى، فقد نقل عن الفرنسية إلى العربية عدة كتب منها "نبذة فى تطعيم الجدرى" لكلوت بك، و"ضياء النيرين فى مداواة العينين" تأليف الإنجليزى "لورانس" ، و"بهجة الرؤساءفى أمراض النساء" ، و"نزهة الإقبال فى مداواة الأطفال" ، و"الروضة البهية فى مداواة الأمراض الجلدية" . كذلك ترجم حسن غانم الرشيدى "الدر اللامع فى النبات وما فيه من الخواص والمنافع" تأليف الدكتور فيجرى بك Figari ، و"الدر الثمين فى الأقرباذين". (٥٦)

أما الدكتور عيسوى النحراوى فقد ترجم عن الفرنسية "التشريح العام" . ونقل الدكتور محمد الشباسى عن الفرنسية كتاب" التنوير فى قواعد التحضير" ، و"التنقيح الوحيد فى التشريح الخاص الجديد" . ومن الكتب التى نقلها عن الفرنسية الدكتور محمد الشافعى "الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال" ، و "كنوز الصحة ويواقيت المنحة" وهما من تأليف كلوت بك (٥٧)، الذى ساهم بدوره فى تأليف العديد من الرسائل والكتب المتعلقة بدراسة الطب ومواجهة الأمراض المختلفة، وكان من الواضح اهتمامه الخاص بالأمراض والأوبئة التى كانت تكثر فى البلاد وقتئذ . وقد ترجمت كل مؤلفاته إلى العربية . فعندما اجتاحت الكوليرا البلاد فى عام ١٨٣٠، وحصدت أرواح الآلاف من

Scanned with CamScanner

المصريين، بذل كلوت بك جهودا ضخمة لمواجهة هذا الوبـاء، وعـلاج المرضـى، واتخاذ الوسائل اللازمة للوقاية والحيلولة دون انتشاره ودربهم على التعامل مع الوباء والقضاء عليه . كذلك بذل كلوت بك جهدا كبيرا لمحاربة مرض الجدرى الـذى كـان يقضى فى مصر على حياة نحو ستين ألفا من الأطفال كل عام . فأشار على الحكومة باستعمال التطعيم ضد هذا المرض ، ووواضح أن رسالته عن تطعيم الجـدرى والتـى ترجمها الطبيب المصرى أحمد حسن الرشيدى كتبت وترجمت لتحقيق هذا الغرض .

وهناك كتابان من بين كتب كلوت بك يستحقان الالتفـات والعنايـة والدراسـة الخاصة، وسبق أن أشرنا إليهما، هما : "كنوز الصحة ويواقيت المنحـة" ، و "الـدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال " ، أما الكتاب الأول فقد ألف وترجم لغرض نبيـل هو تعليم المجتمع المصرى المبادىء والتعاليم الصحية ، ونشرها بين أفراده بأسـلوب سهل قريب إلى فهم العامة . وقد وضع هذا الكتاب وترجم لتحقيق هذا الغرض بأوامر وتعليمات من محمد على باشا، واستقى مصادره من مشاهير الكتب الطبية . والكتـاب يقع فى نحو ٤٠٠ صفحة وقد طبع مرات عديدة نظرا لأهميته للمجتمـع المـصرى، وكثرة إقبال الناس على اقتنائه . وقد ترجم هذا الكتاب ـــ كما أشرنا من قبل ـــ الطبيب المصرى محمد شافعى . أما الكتاب الثانى، وهو "الدرر الغوال فى معالجـة أمـراض الأطفال" ، فقد ألف وترجم تنفيذا لرغبات محمد على، ولمواجهـة "جهـل الأمهـات والمراضع اللاتى لا يراعين نظافة الأطفال" . وقد قسم إلى ثلاثة أقـسام، الأول فـى قانون صحة الأطفال وذلك للحيلولة دون إصابتهم، والثانى، فـى أمراضـهم وطـرق علاجهم، والثالث، فى تراكيب الأدوية ومكوناتها التى يجب استعمالها لمقاومة ومواجهة مثل هذه الأمراض . وقد ترجمه أيضا محمد شافعى، وطبع بمطبعة بولاق فى ربيـع الثانى سنة ١٢٦٠هـ . ويقع فى ١٣٢ صفحة من القطع الصغير .[٥٨]

وإلى جانب هؤلاء الأطباء من أعضاء البعثات، ترجم الدكتور محمد عبـدالفتاح عدة كتب منها "تحفة القلم فى أمـراض القـدم " ، وقـد راجعـه وصـحّحه رفاعـة

Scanned with CamScanner

الطهطاوى، و " نزهة المحافل فى معرفة المفاصل" ، و"الطب العملى" . وهناك عدا ما تقدم طائفة أخرى من الكتب ترجمها آخرون ، منها كتاب "روضة النجاح فى العمليات الجراحية الصغرى" ترجمة الطبيب محمد على البقلى، الذى كان من بين طلاب الأزهر اللذين التحقوا بمدرسة الطب وبذل جهده فى الدرس والتحصيل واشتهر بالنبوغ، ففاق أقرانه، ولما أتم دراسة الطب اختاره كلوت بك ضمن البعثة التى أرسلت إلى فرنسا عام ١٨٣٢ للتبحر فى العلوم الطبية . وعندما عاد فى عام ١٨٣٨عين مدرسا للجراحة والتشريح بمدرسة الطب وكبير جراحى المستشفى، وله مؤلفات وتراجم عديدة فى مجال الطب والجراحة . وقد تدرج فى مناصبه حتى أصبح مديرا لمدرسة الطب ورئيسا لمستشفى طب القصر العينى فى عهد الخديوى إسماعيل . (٥٩)

وإذا كان هناك فريق من أعضاء البعثات قد عهد إليه ترجمة الكتب الطبية، فقد عنى فريق آخر بترجمة كتب الرياضة والعلوم، وكان من بين هؤلاء إبراهيم رمضان وأحمد دقلة وأحمد طائل وأحمد فايد، ولكن أنبغهم جميعا هو محمد بيومى أفندى، الذى عاد من فرنسا فى إبريل ١٨٣٥ بعد أن قضى بها تسع سنوات . وقد عين مدرسا "بالمهندسخانة" وقد قام بيومى أفندى بترجمة كتاب "الهندسة الوصفية" تأليف "دوشين Ducheene " ، وكتاب "الجبر والمقابلة" تأليف "ماير Mayer " ، و"ثمرة الاكتساب فى علم الحساب" ، و "جامع الثمرات فى حساب المثلثات" ، كما ترجم بالإشتراك مع أحمد طائل كتاب "ميكانيكا ــ أى علم جر الأثقال" ، تأليف " تركم Terquem " .

أما إبراهيم رمضان، فقد نقل عن الفرنسية "القانون الرياضى فى فن تخطيط الأراضى" وراجع الترجمة عبدالله أبوالسعود أفندى ومحمد بيومى أفندى . كما ترجم إبراهيم رمضان أيضا "اللآلئ البهية فى الهندسة الوصفية" ، ثم اشترك مع منصور عزمى فى ترجمة "الروضة الزهرية فى الهندسة الوصفية" ، ويتألف هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد . أما أحمد دقلة أفندى، فقد ترجم كتاب "مثلثات مستوية وكروية"، وكتاب "هيدروليك ــ أى علم حركة وموازنة المياه" ثم كتاب آخر فى حساب

Scanned with CamScanner

المثلثات . وترجم أحمد فايد أفندى "الأقوال المرضية فى علم بنية الكرة الأرضية" تأليف "بوبيه Boubee " ، وقد ألحق بهذا الكتاب معجم صغير يشمل على "بيان ألفاظ هذا الفن الاصطلاحية" ، كما ترجم "مختصر الميكانيكا" ، وكتاب "علم تحريك السوائل" لمؤلفه بيلانجيه.(٦٠)

أما عن جهود الأجانب فى مجال التأليف والترجمة، فقد كانت واضحة جلية فيما قام به كلوت بك فى هذا المضمار . وليس ثمة شك فى أن الدكتور برون Perron يكاد أن يكون الوحيد من بين جميع الأساتذة وخبراء التعليم الأجانب فى مدارس محمد على المختلفة الذى كان يجيد اللغة العربية ويعنى بالبحث فى كتبها والترجمة عنها وإليها . وقد شارك فى حركة الترجمة والنشر التى نشطت خلال هذه الفترة، وكانت له جهود ملموسة فى الترجمة عن العربية إلى الفرنسية ومن الفرنسية إلى العربية ، وقد ظل برون يدرس مادتى الطبيعة والكيمياء فى مدرسة الطب حتى بعد نقلها إلى القصر العينى . وعنى برون كمؤلف بالمادتين اللتين كان يدرسهما، فوضع فيهما كتابين كبيرين ترجما إلى اللغة العربية .

أما الكتاب الأول ، فهو "الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية"، ثم بحث بعد ذلك فى القواميس على الألفاظ الطبية والكيماوية، فلما ووفق على طبع الكتاب قام برون بترجمته بنفسه وأشرف على مراجعته الشيخ محمد الهراوى والشيخ محمد عمر التونسى . والكتاب ضخم يقع فى ثلاثة أجزاء، عدد صفحات الأول ٧٠٦، والثانى ٤٩٤، والثالث ٤٤٠ صفحة . وقد ألحق بالجزء الأخير ذيل فى ١١٩ صفحة أخرى لشرح الآلات الواردة فى الكتاب . ووفّق برون وتلاميذه بالمدرسة ومصححو الكتاب توفيقا كبيرا فى ترجمة أسماء كثير من هذه الآلات ، ومنها مثلا الأنبوبة، والأنبيق ، والبودقة ، والجفنة ، وجهاز تعيين الوزن النوعى للهواء والغازات ودورق وولف والمخبار والمرشح . وكان برون قد أعد لكل جزء فهرسا خاصا ولكنه رأى بعد إتمام الكتاب أن يجعل له فهرسا عاما اقتداء بمؤلفى أوروبا .(٦١)

Scanned with CamScanner

أما الكتاب الثانى فقد سماه برون "الأزهار البديعة فى علم الطبيعة" وقال فى مقدمته " إنى لما أُستخدمت بمدرسة الطب البشرى معلما للكيمياء طلب منى أن أضم لتعليم علم الكيمياء علم الطبيعة فامتثلت الأمر .، وجمعت هذا الكتاب من أحاسن الفن المذكور" وأضاف إلى ذلك قوله:" ثم إنى لفهمى لبعض الألفاظ العربية تجنبت من الألفاظ الفرنساوية ما يعسر ترجمته إلى العربية" ، وقد أعد هذا الكتاب على جزئين، الأول فى العلوم الطبيعية والثانى فى الكائنات الجوية. وقد ترجم هذا الكتاب يوحنا حنحورى وأشرف على مراجعته وتحريره الشيخ محمد الهراوى وطبع منه ألف نسخة فى مطبعة بولاق عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م، أى قبل أن يتم طبع الكتاب السابق بنحو ست سنوات . غير أن هذا الكتاب كان أول كتاب فى علم الطبيعة ترجم إلى اللغة العربية، فلهذا أقبل عليه تلاميذ المدارس "وانكبوا عليه بين مطالع ودارس" . (٦٢)

وكانت المجلدات التسعين التى ترجمت فى مدرسة الطب بين عامى ١٨٣٢، ١٨٤٩ تحت إشراف كلوت بك والأطباء المصريين من أعضاء البعوث التى أرسلت إلى الخارج، قد استفادت كثيرا من مساعدة الدكتور برون الذى ساهم بجهد كبير – كما أوضحنا فى هذه الحركة التى ازدهرت خلال عصر محمد على، فيما يختص بالمصطلحات الطبية . وقد أدت ترجمة قاموس نستين Nesten " الطبى، ثم ترجمة "قاموس قواميس الطب" لمؤلفه "فابر Fabre " فى ثمانية أجزاءتحت عنوان "كتاب الشذور الذهبية فى الألفاظ الطبية" ، إلى تزويد العلوم الطبية وأشباهها فى مصر بمصطلحاتها الحديثة الدقيقة ". (٦٣) وكان الدكتور كلوت بك قد أحضر هذا القاموس من فرنسا، وتعاونت هيئة التدريس بمدرسة الطب برئاسة الدكتور برون على ترجمته، فاشترك فى هذا العمل الضخم كل من إبراهيم النبراوى، ومحمد أفندى على، ومحمد شافعى، ومحمد الشباسى ، وعيسوى النحراوى، ومصطفى السبكى، وحسنين على، والسيد أحمد الرشيدى، وحسين غانم الرشيدى .

Scanned with CamScanner

ولما كان برون يريد أن يشتمل هذا القاموس كذلك على المصطلحات الطبية القديمة، فقد أحضر القاموس المحيط للفيروزأبادى [٦٤] ووزعه على أعضاء هيئة التدريس، وأشرك معهم فى هذا العمل مصححى مدرسة الطب من المشايخ . ويقول أحدهم، وهو الشيخ محمد عمر التونسى : "ثم خصنى الناظر المذكور ـ يقصد برون ـ باستخراج ما فى "القانون" من التعاريف وما فى تذكرة داود من كل معنى لطيف" ، وكان هذا العمل شاقا ضخما لم يفرغ منه أصحابه إلا عند وفاة محمد على .

وبالرغم أن هذا القاموس العربى جاء ثمرة الجهد الشاق الذى بذله عدد كبير من الأطباء المصريين، إلا أن كلوت بك ـ ربما لتخوفه من فقدان هذا القاموس على حد قول البعض ـ ، قدَّمه هدية للمكتبة الوطنية فى باريس بتاريخ ٩ سبتمبر ١٨٥١، وهو المعروف ـ كما أشرنا من قبل ـ بقاموس "كتاب الشذور الذهبية فى المصطلحات الطبية" للشيخ محمد عمر التونسى . [٦٥]

ولقد كان تصحيح الكتب من الناحية اللغوية أمرا ضروريا، لتهذيب لغة هذه الكتب التى ينقلها المترجمون إلى العربية لكى يستفيد التلاميذ من قراءتها، فكان المصححون يقومون بمراجعة الكتب التى تم تعريبها لإصلاح ما بها من خطأ فى اللغة العربية . وقد صادف المترجمون صعوبات جمة، وخاصة فى نقل الكتب الطبية إلى اللغة العربية، لما كانت تتطلبه ترجمة المصطلحات العلمية من دقة تستند إلى معرفة صحيحة واطلاع واسع . وقد عالج أولو الأمر ذلك كله بوسائل شتى، فاختاروا نخبة من رجال الأزهر لمراجعة الكتب وتصحيحها، حيث رأى كلوت بك ضرورة الاستعانة بهم لما لهم بكتب الطب العربية القديمة من معرفة لها قيمتها عند إعادة النظر فى أسماء المصطلحات الطبية أثناء الترجمة وبعدها، حتى أصبح للطب فى خمس سنوات قاموس Vocabulaire تزيد كلماته على ستة آلاف كلمة" . وقد أنشأ كلوت بك لتلاميذه مدرسة يتعلمون فيها اللغة الفرنسية حتى لا تشق عليهم الترجمة، كما اختار

Scanned with CamScanner

من أعضاء البعوث المدرسين بمدرسة الطب مراجعين ومصححين لما يترجمه زملاؤهم .

وقد استعانت المدارس الخصوصية الأخرى بشيوخ الأزهر فى مراجعة أسلوب الكتب وتصحيح أخطائها اللغوية، ولهذا كان عمل المصححين يضارع فى أهميته عمل المترجمين أنفسهم.(٦٦)

ومن الملاحظ أن بعض هؤلاء المترجمين والمصححين قد اهتموا بإضافة معاجم وقواميس صغيرة بالكتب التى نقلوها إلى العربية، لتوضيح بعض الألفاظ الغريبة وتفسير المصطلحات العلمية، كما فعل رفاعة الطهطاوى وآخرون، عندما قاموا بترجمة الكتب المشار إليها . وكانت معظم الكتب المترجمة تطبع فى مطبعة بولاق، أما سائر الكتب فكانت تطبع بمطبعة رأس التين بالإسكندرية، أو فى مطبعة "المهندسخانه" أو فى المطبعة الملحقة بمدرسة الطب البشرى . وقد أدرك محمد على مبكرا أهمية إنشاء المطابع لاستكمال المنظومة التعليمية التى أرادها، فأوفد "نيقولامسابكى" إلى إيطاليا عام ١٨١٥ للتخصص فى فن الطباعة. وقد درس نيقولا هذا الفن وتعلم سبك الحروف وعمل قوالبها، وبعد أن قضى بإيطاليا أربع سنوات عاد إلى مصر وعهد إليه محمد على بإنشاء "مطبعة صاحب السعادة" أو المطبعة الأميرية ببولاق، فكانت أول وأهم مطبعة أنشئت فى عصر محمد على فى عام ١٨٢٠، ولكنها لم تبدأ عملها إلا فى عام ١٨٢٢، ثم توالى إنشاء المطابع فيما بعد، حتى بلغ عددها ثمانية مطابع .(٦٧)

الخاتمة

بدأ محمد على عهدا جديدا فى تاريخ مصر لم تعهده من قبل، وهو تأسيس وبناء دولة حديثة قوية تكفل له ولأسرته الأمن والاستقرار من بعده، من خلال تحديث مصر بالاعتماد على قدراتها الذاتية ، ومما لا شك فيه أن ذلك العصر كان يمثل نقطة تحول هامة فى تاريخ المجتمع المصرى . فكما نعلم أن المجتمعات الشرقية ومنها مصر

Scanned with CamScanner

كانت بمعزل تماما حتى أوائل القرن التاسع عشر عن تلك التحولات والتطورات الاقتصادية والعلمية التى شهدتها أوربا آنذاك، والتى كانت تمثل إفرازا لعصر النهضة والثورة الصناعية .

ومشروعات التنمية التى بدأتها مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت تتطلب دراسة علمية موضوعية، ووضع خطط وبرامج يتطلب تنفيذها وجود التخصصات العلمية والفنية والإدارية، وهذا يتطلب ـ بالضرورة ـ وضع سياسة تعليمية مدروسة لتزويد البلاد بما تحتاجه من قدرات بشرية متخصصة فى كافة مجالات التنمية .

ونظرا لحاجة البلاد إلى قوى بشرية متخصصة، فقد تطلب ذلك وضع البرامج والسياسات اللازمة لتنمية الكوادر العلمية . ومن هنا تبرز أهمية الدور الذى لعبته مدارس محمد على العليا لبناء هذه القاعدة البشرية الوطنية فى مختلف المجالات .

وكان إرسال البعثات العلمية إلى أوروبا ضرورة ملحة لتحقيق تلك التحولات، حتى إذا عادوا إلى البلاد، قاموا بالإشراف على مؤسسات الدولة المختلفة، بالإضافة إلى التدريس بمدارسها، إلى جانب تنفيذ ذلك المشروع العلمى الكبير، ألا وهو مشروع الترجمة لنقل ثقافة الغرب الحديثة فى مختلف المجالات إلى اللغة العربية، التى كانت بأيدى المسلمين طوال العصر العباسى الأول، الذى ازدهرت فيه حركة التعريب بشكل واضح . فقد نشطت أثناء ذلك العصر حركة الترجمة فى العراق ، وأثناء الدولة الدولة الفاطمية فى مصر، حيث نقلت أساسيات الفكر اليونانى ، والفارسى ، والهندى ، والسريانى من لغاتها الأصلية إلى العربية، وامتلأت بها دور الحكمة ومكتبات قصور الأمراء ومعاهد العلم جنبا إلى جنب مع مؤلفات الكتّاب العرب . ومع انهيار الدولة العربية الإسلامية وتراجعها السياسى والحضارى تراجعت حركة الترجمة إلى العربية، وكان ذلك إلى حين . فقد صاحب مشروع محمد على التحديثى، مشروعا آخر للترجمة . وهكذا بدأت مصر فى إرسال البعثات إلى أوروبا، وفى ذات الوقت بدأ تباعا مشروع

Scanned with CamScanner

الترجمة فى مجالات الطب والهندسة والرياضة والجغرافية والفلك، ذلك المشروع الذى تبنته الدولة وأنفقت عليه الكثير من مواردها، وحقق أكبر قسط من النجاح فى مشروعات التنمية، وفى الاطلاع على ثقافة الغرب، وتعريب منجزاته، حتى يكون متيسرا عند الناطقين بالعربية .

الهوامش

(١) أنور الجندى : الإسلام والثقافة العربية، ص٤

(٢) أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث، ص٥ . وكان فولنى قد زار مصر عام ١٧٨٣ ثم ذهب إلى سوريا، حيث كتب مؤلفه الشهير بعنوان : رحلة فى مصر وسوريا، Voyage en Egypt et Syrie ويقع فى جزئين وطبع فى باريس عام ١٧٨٧م . ويستمد مؤلف فولنى أهميته فى أنه كان شاهد عيان على الفترة المظلمة التى شهدتها مصر فى نهايات الحكم العثمانى، حيث أعطى صورة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية التى كانت عليها البلاد قبل مجيء الحملة الفرنسية بنحو خمسة عشر عاما، وقبل أن يتولى محمد على الحكم عام ١٨٠٥ .

(٣) عبدالرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، القاهرة، ١٣٢٢هـ ج١،صـ١٩٣ــ١٩٤ . وقد أشار الجبرتى أيضا إلى أن الجامع الأزهر وشيوخه فى منتصف القرن الثامن عشر لم يكن لديهم اهتمام حتى بالعلوم الرياضية والفلكية التى يتوسل بها لمعرفة أوقات الصلاة وأوقات الصوم والأهلة التى تحدد أوائل الشهور العربية .

(٤) أنظر، على مبارك : الخطط التوفيقية، صـ ١٧.

(٥) محمد عبدالغنى حسن : حسن العطار، القاهرة، دار المعارف، د.ت، صـ ١٦

(٦) عبدالعاطى محمد أحمد : الفكر السياسى للإمام محمد عبده، القاهرة، ١٩٧٨، صـ٣٨.

Scanned with CamScanner

(٧) ليلى عبداللطيف أحمد : الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى ، صـــ ٤٣

(٨) حول هذا المشروع الإصلاحى، أنظر دراستنا بعنوان : الأجانب ودورهم فى الإدارة المصرية (١٨٢٠-١٨٨٢)، دار الثقافة، طــ٢، ٢٠٠٢

(٩) للمزيد، أنظر، أحمد الحته، تاريخ الزراعة فى عصر محمد على، على الجريتلى، تاريخ الصناعة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

(١٠) عبد العاطى محمد أحمد، المرجع السابق، ص١٦ . ويندرج الطهطاوى تحت الفئة الثالثة التجديدية .

(١١) أسامة الغزالى حرب : مصر تراجع نفسها، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٤٩

(١٢) حول سياسة محمد على التعليمية، أنظر، أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على، القاهرة، ١٩٣٨.

(١٣) أنظر، جمال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على، القاهرة، ١٩٥١

(١٤) أحمد عزت عبدالكريم، المرجع السابق ص٣٤ .

(١٥) Blanchard : Egypt under Islamil Pacha,p.58,1879

(١٦) جوزيف جحار، ترجمة بطرس الحلاق وآخرون: أوروبا ومصير الشرق العربى، حروب الاستعمار ضد محمد على، بيروت، د.ت، ص١٤ـــــ١٦ .

(١٧) Naguib Pacha Mahfuz: the History of Medical Education in Egypt,P.25.

(١٨) محمد خليل عبدالخالق : فضل محمد على فى إنشاء الإدارة الصحية الحديثة وتعليم الطب فى مصر، القاهرة، ١٩٤٩، ص٣٦٧، ص ٣٦٨.

(١٩) وكان من أعماله الطبية الناجحة استخدامه المخدر لأول مرة فى مصر لإجراء بعض العمليات الطبية الناجحة ، وعاونه فى هذا العمل بعض الأطباء الأجانب والمصريين الذين كانوا قد تخرجوا من مدرسة الطب وعملوا معه بالمستشفى .

(٢٠) كلوت بك : لمحة عامه إلى مصر، ترجمة محمد مسعود، ج٢، ص٥٩٣ــ٦٥٥.

Scanned with CamScanner

(٢١)جهادية أوامر، محفظة (١٧)، أمر عال من محمد على إلى كلوت بك بتاريخ ٩ شوال١٢٤٩ هـ/١٨٣٣م .

(٢٢)وقد ظلت نسخة من مذكراته فى المكتبة الخاصة للملك فاروق . وكان بعض المؤرخين يعودون إليها للدراسة والتمحيص حتى عام ١٩٤٩، عندما طبعت وظهرت فى كتاب من القطع الكبير يقع فى حوالى ٤٥٠ صفحة، حيث قام المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بطبعها.

(٢٣)أنظر إلى التقرير الذى قدمه الدكتور كلوت بك لقنصل إنجلترا آنذاك الدكتور بورنج الذى تناول فيه ظروف إنشاء المستشفى والمدرسة ومصلحة الطب، مذكورا فى، محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على، ص٦٧٠ وما بعدها .

(٢٤)كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر، ج٢،ص٦١٦، ص٦١٧ .

(٢٥)وقد أشار كلوت بك إلى عدم استطاعته العثور على مترجمين يستطيعون ترجمة المصطلحات العلمية بالدقة المطلوبة .

(٢٦)كلوت بك، المصدر السابق، ص٦٢١

(٢٧)أحمد عزت عبدالكريم، المرجع السابق، ص٢٦٠

(٢٨)أنظر، أمين سامى : التعليم فى مصر، القاهرة، ١٩١٧، تقويم النيل، عصرمحمد على، القاهرة، ١٩٢٨

(٢٩)محافظ أبحاث التعليم، محفظة رقم (٢) مكاتبة بتاريخ ٢٢ ربيع أول سنة ١٢٤٩ هـ/١٨٣٣م.

(٣٠)دفتر ٤٩ (معيه)، رقم ١٦٥ إلى الخزينة دار فى ٧ شوال سنة ١٢٤٨هـ . كذلك، أحمد عزت عبدالكريم، المرجع السابق، صـ ٤٢٨.

(٣١)محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على، صـ ١٠٧ .

(٣٢)نفس المرجع، نقلا عن أمين سامى، تقويم النيل، عصر محمد على . وقد تراجعت حركة الترجمة بعد عصر محمد على كحركة منظمة تشرف عليها

Scanned with CamScanner

الدولة، وأصبحت قائمة على الجهود الفردية . واستمر ذلك حتى أوائل القرن العشرين .

(٣٣) كلوت بك، المصدر السابق، صـ٦١٧- ٦١٨.

(٣٤) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، صـ١٠٩.

(٣٥) دفتر ٦٧ (معية) وثيقة رقم ٧٦١ من الجناب العالى إلي ناظر الجهادية في ١١ رجب ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م. وقد حمل عبء التخطيط لهذا المشروع وإرساء قواعده رائد الفكر المصرى الحديث رفاعة رافع الطهطاوى .

(٣٦) أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، صـ٣٣١.

(٣٧) محمد عبد السلام الشاذلي: تطور الفكر العربي، جـ١، صـ٣٠

(٣٨) دفتر ٢٠٩٧ (مدارس تركي)، صـ١٥٧ رقم ٧٢٤، إلي مدرسة الألسن في غرة المحرم سنة ١٢٦٢هـ. وقد استمرت المدرسة حتى أوائل عهد عباس الأول.

(٣٩) أحمد عزت عبد الكريم، نفس المرجع، صـ٣٤٢.

(٤٠) أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، صـ٣٣٨.

(٤١) علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، نقلاً عن المرجع السابق، صـ٣٣٩.

(٤٢) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، صـ١٠٩. وقد بقيت مدرسة الألسن وقلم الترجمة إلي أواخر أيام محمد علي، فلم يتم إلغاؤهما إلا في نوفمبر سنة ١٨٤٩.

(٤٣) ٢٦دفتر (مدارس عربى) صـ ٣٤٨، مكاتبة رقم ٧٧ إلى مدرسة الألسن فى نهاية شوال سنة ١٢٦١ هـ .

(٤٤) من أعضاء هيئة التدريس بمدرسة الطب البشرى .

(٤٥) عمل مدرسا بمدرسة الطب البشرى وتدرَّج فى وظائفها حتى أصبح مديرا للمدرسة .

Scanned with CamScanner

(٤٦)لم ينس صالح مجدى فضل أستاذه عليه، فوضع كتابا عن الطهطاوى بعنوان "حلية الزمن بمناقب خادم الوطن " .

(٤٧)عبدالرحمن الرافعى : عصر إسماعيل، ج١، ص٢٥٩.

(٤٨)للمزيد من التفاصيل حول هذه البعثات، أنظر، عمر طوسون : البعثات العلمية فى عهد محمد على وعباس وسعيد، الأسكندرية، ١٩٣٤.

(٤٩)عبدالمحسن طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر، القاهرة، ١٩٦٣، ص٢٠، ص٢١ .

(٥٠)رفاعة الطهطاوى : مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية، طبعة ثانية، ص٣٧٢ .

(٥١)محمد فؤاد شكرى، المرجع السابق، ص١١٦.

(٥٢)محمد عمارة : رفاعة الطهطاوى رائد التنوير فى العصر الحديث، ص٢٥٦ .

(٥٣)أحمد سيد أحمد : رفاعة الطهطاوى فى السودان، القاهرة، ١٩٧٣،ص٢٩.

(٥٤)رؤوف عباس : التنوير بين مصر واليابان، ص٦٠ . وقد أعادت الهيئة العامة للكتاب طبعة عام ١٩٩٣ فى ثلاثة أجزاء .

(٥٥)رفاعة الطهطاوى : تخليص الإبريز فى تلخيص باريز، ج٢، ص١٧٢، ص١٧٣ . وقد اعتمدنا فى هذا الكتاب على الطبعة الأخيرة المشار إليها سابقا .

(٥٦)على مبارك : الخطط التوفيقية، ج١٧، ص١٣، الرافعى : عصر محمد على، ص٥٥٤.

(٥٧)٢١١٣دفتر مدارس عربى، ص١٤ بتاريخ ٢٣ ربيع الثانى سنة ١٢٦٢هـ . أمر عال بتعيين الدكتور نبراوى أفندى المعلم بمدرسة الطب بالقصر العينى طبيبا ثانيا للجناب العالى.

(٥٨)على مبارك : الخطط التوفيقية، ج١٧، ص٣ . كذلك، أمين سامى، تقويم النيل، عصر محمد على، ص٦٠٦ .

(٥٩)محمد فؤاد شكرى، المرجع السابق، ص١١٢ .

Scanned with CamScanner

(٦٠) جمال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على، ص٥٩. وقد أمر محمد على بترجمة الكتابين إلى اللغة التركية، حيث ترجما تحت عنوان : "ترجمة كنوز الصحة" ،و "تربية الأطفال" .

(٦١) على مبارك: الخطط التوفيقية، ج١١،صــ٨٤ وما بعدها نقلا عن الرافعى، عصر محمد على،صـــ٥٥٢،٥٥٣.

(٦٢) محمد فؤاد شكرى، المرجع السابق، ص١١٢

(٦٣) جمال الدين الشيال : المرجع السابق، ص٦٠ــ٦٣

(٦٤) نفس المرجع، ص٦٦، ص٦٨ . ونظرا للخدمات التى أداها الدكتور برون للبلاد، فقد أنعم عليه برتبة قائمقام . محافظ أبحاث التعليم، محفظة رقم ٦، ديوان مدارس تركى، مكاتبه رقم ١٢٣، ص٤٤٠، بتاريخ ٢٥ذى القعدة سنة ١٢٦١ هــ / ١٨٤٥م .

(٦٥) أنور عبدالملك : نهضة مصر، القاهرة ١٩٨٣، ص١٤٦ .

(٦٦) محمد فؤاد شكرى، المرجع السابق، ص١٢٠. وقد كان المؤرخون المصريون للطب يجهلون تماما مجرد وجوده حتى عام ١٩٣٦ . انظر: أنور عبدالملك، المرجع السابق، ص١٤٦.

(٦٧) محافظ أبحاث التعليم، محفظة (١) دفتر ١٠، ص٣، مكاتبة رقم ٢١٦، ص٢٠٠٨، بتاريخ ٢٧ محرم سنة١٢٦١هــ ،دفتر٣١، معيه تركى، ترجمة الوثيقة رقم ٦٤٨، بتاريخ ٢٦ رجب سنة ١٢٦٢هــ . كذلك، محمد فؤاد شكرى، المرجع السابق، ص١١٧.

(٦٨) كان اتجاه البعثات الخارجية الأولى نحو إيطاليا، نظرا للروابط والعلاقات الاقتصادية والتجارية التى كانت بين مصر وإيطاليا منذ العصور الوسطى .

Scanned with CamScanner